جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم النحو والصرف والعروض

التقديم والتأخير في الصحيحين

دراسة نحوية دلالية

رسالة دكتوراه

إعداد الطالب/ ثابت صالح صالح ظفران

إشراف الأستاذ الدكتور

شعبان صلاح حسين

أستاذ النحو والصرف والعروض بالكلية

٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

[النجم:٣-٤]

صدق الله العظيم

إهـــداء

إلى مَن في رعايته تقلبت

وفي كنفه ارتفعت

إلى مَن عزّز فيَّ حبَّ الخير

وخلق فيَّ روح التحدي

إلى والدِي الغالي–أطال الله في عمره– أهدي هذا الجهد المتواضع.

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، إمام البلغاء وسيد الفصحاء، القائل عن نفسه في حديثه الشريف: "بُعِثتُ بجوامع الكَلِم"(٢)، وفي رواية: "أُعطيت جوامع الكلم"(٣)، فكان كلامه "الغاية في البيان، والنهاية في البرهان"(٤)، ولم يبالغ الرافعي حين قال: "لا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له-ﷺ- إلا توفيقا من الله وتوقيفا؛ إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم"(٥)، فما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاء عن رسول الله -ﷺ- وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الراشدين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الأصل في الكلام العربي أن توضع الألفاظ في مراتبها التي اكتسبتها عن طريق استخدام العرب لها، ومن ثَمّ قررها نحاة العربية ببيان جليّ واضح، فجعلوا للكلام رتبًا بعضها أسبق من بعض، وذكروا أن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة، ومرتبة العامل قبل مرتبة المعمول، وحين قرر النحاة أن كل لفظة لها مرتبتها في نظام الجملة أكدوا في الوقت نفسه أنه إذا ما حصل في ذلك تقديم أو تأخير فإنه يُراد به غرض أو قصد معين يعمد إليه المتكلم، ولعل سيبويه هو أول من طرق باب هذه المسألة، حين قال في باب (الفاعل الذي يتعداه فعله إلى المفعول): "فإذا قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدًا

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) البخاري: ٥٦/٢، [٢٩٧٧].

(٣) مسلم: ٣٧١/١، [٥٢٣].

(٤) البصائر والذخائر: ٦/١.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٨٣.

عبدُالله ...، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعْنى، وإن كانا جميعًا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"[١].

لقد وضع سيبويه للتقديم والتأخير قاعدة عامة، ملاك الأمر فيها عائد إلى العناية والاهتمام، تلقفها النحاة من بعده، وأصبحت أصلا معتمدًا عندهم في تسويغ التقديم والتأخير.

ولم يكن هذا الموضوع من البلاغيين ببعيد؛ بل هو عندهم "باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتر لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعْرًا يروقك مَسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٢]

ولعل من أهم الذين انتفعوا بمبدأ الاهتمام والعناية الذي أقره سيبويه هو الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد ذكر ذلك في دلائله، ودعا إلى تسويغ تقدم اللفظ أو تأخره بالبحث عن مصدر الاهتمام والعناية[٣].

إن مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام، والتعبير الواحد قد تختلف أغراضه من مقام إلى مقام، فدلالات التقديم والتأخير تتغير بتغير السياق، كما أن التقديم والتأخير كما يقول الدكتور أحمد مطلوب: "يخضع للمعنى وللهدف الذي يسعى إليه المتكلم"[٤]، وهو يمثل " قدرات إبانة أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللّقن إدارة حية وواعية فيسخرها تسخيرا منضبطا للإبانة عن معانيه ومقاصده، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير يَحدث فيها يُحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وصورها وظلالها"[٥].

ففن التقديم والتأخير كان وما يزال وراء الكثير من عبقرية الأسلوب وحيويته، فهو طاقة أسلوبية ذات معين لا ينضب، وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة

---

(١) الكتاب:٣٤/١.

(٢) دلائل الإعجاز:١٠٦.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز:١٠٨.

(٤) بحوث بلاغية:٩٣.

(٥) دلالات التراكيب:١٧٠.

والتعبير، وفيه مخالفة للأصل، وخروج عن المألوف، وتأدية لمعان لا تتضح إلا به ، وتنبيه للتراكيب الأصلية[١]، فـ"القول بتقديم أحد العناصر في الجملة المنطوقة أو تأخيره، أو حذفه يعتمد على فكرة البنية الأساسية للجملة. فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم من تأخير، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين أو رتبة محددة"[٢] .

أهمية الدراسة ودوافعها

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع (التقديم والتأخير)، في نصوص بليغة تأتي في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم، نطق بها من أوتي جوامع الكلم، وعنه قال عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [٣].

إن هذه الدراسة تكتسب أهمية كبيرة؛ لكونها تسعى في تتبع ورصد صور التقديم والتأخير بين عناصر الجملة في نصوص الحديث الشريف، فلم تكن هذه الظاهرة غائبة عن الحديث النبوي الشريف، بل تُعد إحدى سمات خطابه، وتبدو فيه بصورة توجب تتبعها بالدراسة والتحليل لأنماطها وصورها، وتلمس دلالاتها وإيحاءاتها في ضوء السياق، والكشف عن أسرارها وسبر أغوارها.

كما أنها ستسعى إلى الربط بين علم النحو وعلم المعاني، وتحاول إثبات التمازج الشديد بين النحو والدلالة؛ ذلك أن "الدرس الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي"[٤]، فضلا عن كونها تشكل إضافة جديدة إلى مكتبة الدراسات النحوية والدلالية، وأنها ستحقق تكاملا مع نظائرها من الدراسات التطبيقية (القرآنية والشعرية) في إثراء حقل الدرس النحوي والدلالي، وخصوصا في لغة الحديث النبوي الشريف.

---

(١) ظواهر نحوية في الشعر الحر:١٢.

(٢) بناء الجملة العربية:٢٤٢.

(٣) النجم: ٣-٤

(٤) النحو والدلالة:٤٥.

ولعل اختيار الباحث للحديث النبوي الشريف ميدانا لتطبيق هذه الدراسة يرجع إلى رغبته في الإسهام في خدمة السنة النبوية الشريفة، من خلال إبراز فصاحة الرسول-ﷺ- وبلاغته، والتعرف على طبيعة خطابه والكشف عن بعض خصائصه الأسلوبية المتجسدة في ظاهرة التقديم والتأخير.

ويرجع اختيار الباحث للصحيحين* مادة لدراسته إلى شهرتهما في الآفاق؛ إذ يقعان في مقدمة الكتب الصحاح في الحديث النبوي الشريف، وهما كما قيل: أصح الكتب وأصدقها بعد كتاب الله-عز وجل-، يقول الإمام النووي: "اتفق العلماء -رحمهم الله- على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم"(١)، فلم يجد الباحث نصا لغويا يمكن أن تظهر فيه دلالات التقديم والتأخير بوضوح تام بعد القرآن الكريم أحسن من الحديث النبوي الشريف.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدراسة ستقتصر من حيث مادتها على الأحاديث النبوية الشريفة التي نص الحديث فيها كلام للمصطفى-ﷺ- ثابت على لسانه، دون الأحاديث التي تندرج تحت باب الفعل أو التقرير.

خطة البحث

وقد استقرت خطة البحث على مقدمة وبابين وخاتمة، تفصيلها كالآتي:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث ومنهجه.

الباب الأول: التقديم والتأخير في العناصر المؤسسة للجملة الاسمية، واشتمل على أربعة فصول:

---

* والصحيحان هما:

- صحيح البخاري، واسمه(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-ﷺ-وسننه وأيامه)، واشتهر بـ (صحيح البخاري)، للإمام البخاري، واسمه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفيُّ، وكنيته أبو عبدالله، ولقبه البُخاري، نسبة إلى مدينة(بُخارى)، ولد فيها سنة ١٩٤هـ، وتوفى في (خَرْتنك) سنة٢٥٦هـ. نشأ يتيما في حجر أمه، وحبب إليه العلم منذ صغره، وكان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم، رأسا في الورع والعبادة، لا يفلت من حافظته شيء سمعه.(تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٣٢٢/٢، وفيات الأعيان: ١٨٨/٤، الوافي بالوفيات: ١٤٨/٢، البداية والنهاية: ٢٥٠/١١، تهذيب التهذيب: ٥٠٨/٣، شذرات الذهب: ٢٥٢/٣).

- صحيح مسلم، وقد عرف بعدة أسماء: الصحيح ، المسند، الجامع، واشتهر بـ (صحيح مسلم)، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيريُّ النَّيسابوريُّ، وكنيته أبو الحسين، ولد بنيسابور سنة ٢٠٦هـ، على الأرجح، وتوفي بها سنة٢٦١هـ. بدأ سماعه للحديث وعنده اثنا عشر عاما، وكانت حياته حافلة بجلائل الأعمال والارتحال في طلب الحديث.(تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٢١/١٥، وفيات الأعيان: ١٩٤/٥، سير أعلام النبلاء: ٥٥٧/١٢، البداية والنهاية: ٢٦٩/١١، تهذيب التهذيب: ٦٧/٤، شذرات الذهب: ٢٧٠/٣).

(١) شرح النووي:١٤/١. وينظر: عمدة القارئ:٥/١، منهج النقد في علوم الحديث: ٢٥٤.

الفصل الأول: تقديم المبتدأ وتأخير الخبر في الجملة الاسمية المجردة من النواسخ.

الفصل الثاني: تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في الجملة الاسمية المجردة من النواسخ.

الفصل الثالث: تقديم الاسم وتأخير الخبر في الجملة الاسمية المنسوخة.

الفصل الرابع: تقديم الخبر وتأخير الاسم في الجملة الاسمية المنسوخة.

الباب الثاني: التقديم والتأخير بين العناصر المؤسسة وغير المؤسسة للجملة، محتويا على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التقديم والتأخير بين العناصر المؤسسة للجملة الفعلية والمفعول به.

الفصل الثاني: التقديم والتأخير بين العناصر المؤسسة للجملة وشبه الجملة.

الفصل الثالث: التقديم والتأخير في العناصر غير المؤسسة للجملة.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث

ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، متبعا الخطوات الآتية:

- التوطئة –بإيجاز– لفصول الدراسة بمقدمات نحوية تأصيلية تنطلق معها الدراسة التطبيقية.
- بيان دلالات التقديم والتأخير، والكشف عن أغراضه ومقاصده، في ضوء السياقات التي ورد فيها التقديم والتأخير، والاسترشاد بالقرائن المختلفة.

- بيان أوجه مناسبة التقديم والتأخير في عناصر الجملة ودلالاته وإيحاءاته للسياق الوارد فيه.

وقد انطلق البحث في رصده صور التقديم والتأخير وأنماطه من نص الدراسة؛ بمعنى أن ما وجد في أقواله-ﷺ- الواردة في الصحيحين من تقديم وتأخير بين عناصر الجملة هو الذي حدد ضرورة تناولها نحوا ودلالة.

الدراسات السابقة

هناك الكثير من الدراسات التي اعتنت بالدراسات النحوية الدلالية في لغة الحديث الشريف، كما أن هناك دراسات سابقة تمت حول التقديم والتأخير أو حول الصحيحين ، يمكن أن تقسم إلى قسمين:

أولا: دراسات اتخذت ظاهرة التقديم والتأخير موضوعا لها، أذكر منها:

- التقديم والتأخير في النحو، للباحث/حامد أحمد نيل، جامعة الأزهر-كلية اللغة العربية،١٩٦٧م.
- قرينة الرتبة وقيمتها في النحو العربي، للباحث/أحمد عبد الباقي عباس، جامعة القاهرة-دار العلوم، ١٩٧٧م.
- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية البسيطة غير المنسوخة في القرآن الكريم، للباحثة/فوزية يعقوب طاهر، جامعة الإسكندرية-كلية الآداب ، ١٩٩٢م.
- التقديم بين أجزاء الجملة في القرآن الكريم، دراسة نحوية، للباحث علي بن محمد الزهراني، جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية،١٩٩٣م.
- مخالفة الأصل بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، للباحث/ فريد أحمد البسطويسي، جامعة القاهرة-دار العلوم،١٩٩٥م.
- الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، دراسة تطبيقية، للباحث/ خالد محمد العثيم، جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية،١٩٩٨م.

- التقديم والتأخير في ديوان زهير، دراسة نحوية دلالية، للباحث/ناصر محمد غيروز، جامعة صنعاء–كلية الآداب،١٩٩٩م.
- التقديم في أجزاء الجملة، دراسة نحوية دلالية في شعر مروان بن أبي حفصة، للباحثة/ حنان أحمد الفياض، جامعة القاهرة–دار العلوم،٢٠٠٥م.
- أسلوب التقديم والتأخير في ضوء نحو المعنى، دراسة نصية تطبيقية من نثر الرسائل العربية، للباحثة/خلود صالح عثمان الصالح، جامعة أم القرى– كلية اللغة العربية، قسم علم اللغة،٢٠٠٨م.
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، تأليف الدكتور/محمود السيد شيخون، دار الهداية.
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، للدكتور/منير محمود المسيري، مكتبة وهبة.

وكثير هي الدراسات التي تناولت التقديم والتأخير فصلا من فصولها أو مبحثا من مباحثها لتعلقه بموضوع الدراسة بشكل أو بأخر.

ثانيا: دراسات اتخذت صحيح البخاري، أو صحيح مسلم، أو الصحيحين معا مادة لها، أذكر منها:

- المشكلات النحوية في الجامع الصحيح للبخاري، منهج وتطبيق، للباحث/عبد الوهاب ربيع محمود، جامعة الأزهر– كلية اللغة العربية،١٩٨٣م.
- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، للباحث/ عوده خليل أبو عوده، الجامعة الأردنية،١٩٨٨م.
- الجملة الطلبية في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، للباحث/عادل محمد مهدي، جامعة طنطا–كلية الآداب، ١٩٩٨م.
- الصفة المشبهة في الحديث النبوي الشريف، تطبيق على صحيح مسلم، للباحثة/ نور يزيده يحيى حسن، جامعة اليرموك،١٩٩٨م.